

جامعة الملك سعود

كلية التربية

قسم الثقافة الإسلامية

أهداف الاستشراق ووسائله

فضيلة الشيخ الدكتور / سعد آل حميد

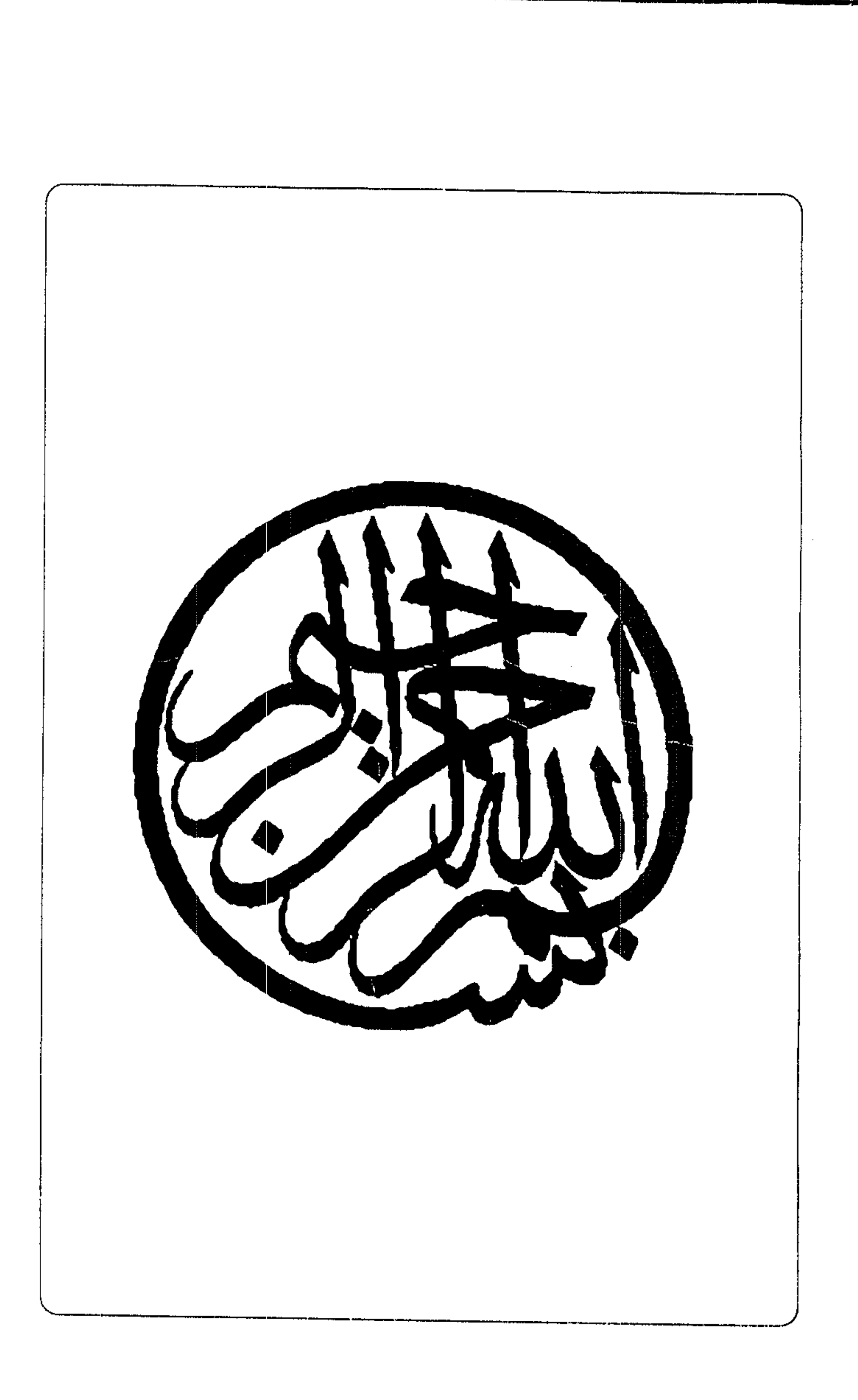
جامعة الملك سعود

كلية التربية

قسم الثقافة الإسلامية

أهداف الاستشراق ووسائله

فضيلة الشيخ الدكتور / سعد آل حميد


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله والصلاة ولسلام على رسول الله   أما بعد :

تتداخل الدوافع ، مع الأهداف لتصبح شيء واحد ، فإن الأهداف التي أراد الاستشراق تحقيقها كان دافعها الأساسي ، أن رجال الدين النصراني رأوا قوة الإسلام دافعة لدخول فيه ، واستيلاء الإسلام على أرض كانت النصرانية هي الدين الوحيد فيها ، حتى أصبح النصارى قلة فخاف هؤلاء على مكانتهم ، ومكاسبهم الدنيوية ، والدينية ، مما أجج أحقادهم فكان لابد أن يقفوا في وجه الإسلام ، من أجل النصرانية ، فكان هدفهم الديني يدفعه الدين وغايته معرفة الإسلام لمحاربته وتشويهه ، وإبعاد النصارى عنه ، ودعوة المسلمين إلى النصرانية ، فكان هدفهم الديني يقف على القمة .

أما الأهداف الأخرى ، التنصيرية ، والاستعمارية ، والاقتصادية ، ونشر الثقافة الغربية ، كلها تدعم وتساند الهدف الأول ، الهدف الديني .

وقد استخدم المستشرقين وسائل متعددة ، ومختلفة التحقيق أهدافهم ، سأذكرها فيما بعد ، إن شاء الله تعالى - بعد أن أذكر الآثار المترتبة على أهداف المستشرقين .

أهداف الاستشراق

أولاً / الهدف الديني :

لقد كانت مهمة الاستشراق منذ نشأته تنقسم إلى قسمين ، الأول سياسي ، والثاني تبشيري ، ومن أجل تحقيق هذا الهدف توجهت البعثات العلمية المسيحية إلى الأندلس ، والتي كان من ضمنها باباوات الكنيسة الذين سبق أن تعلموا في الأندلس .

وفي عام ١٠٩٤م - ١١٥٦م ، قام بطرس المحترم بتشكيل جماعة من المترجمين أوعز لهم بترجمة القرآن الكريم إلى اللاتينية ، فقد كان لا بد من معرفة الإسلام معرفة جيدة لمحاربته محاربة جيدة على مستوى العقيدة ، فنكب المترجمون المسيحيون على ترجمة القرآن ، ودراسته ، من أجل نقده . (١) وتقديم صورة كريهة عن الإسلام ، تمكن الكنيسة من الاحتفاظ برعاياها ، والحيلولة دون دخولهم في الإسلام .

وقد كانت الكنيسة تشعر بمرارة حقيقية تجاه المد الإسلامي ، الذي سرعان ما وصل إلى القسطنطينية ، عاصمة الإمبراطورية البيزنطية ، وما أفرزه ذلك من ظهور عصر النهضة الأوربية ، التي كانت هي الأخرى معول هدم في بنية الكنيسة ، والتفكير اللاهوتي .

---

(١) محمد . إسماعيل الاستشراق بين الحقيقة والتضليل ص ٣١

لذلك لا يبدو غريباً أن تشن الكنيسة على الإسلام حرباً انتقامية ، أداتها الاستشراق .

وقد أنشأت الكنيسة من أجل ذلك مؤسسات في البلاد العربية لخدمة الاستشراق ظاهرياً ، وخدمة الاستعمار ، والتبشير الكاثوليكي باطنياً . (١

ومن هنا يبرز الدافع الديني للاستشراق ، حيث رغب النصارى في تنصير المسلمين ، والقيام بأعمال ، وأنشطة تبشيرية ، فبذلوا كل ما في وسعهم لحمل المسلمين على ترك الإسلام ، أو ترك تعاليمه ، والتخلي عن اتخاذها منهج حياة .

وبهذا الدافع كان إقبال المستشرقين على تعلم اللغة العربية ، وآدابها ، ليتم لهم قراءة العلوم الإسلامية ، والتعرف على مبادئ الإسلام ، ومصادره ، وشعوبه ، ووضع الخطط ، والتصورات المناسبة لتشكيك المسلمين في دينهم ، وتشويه صورته أمامهم حتى يسهل عليهم القيام بأعمال التبشير بينهم . (٢) فانضمت بذلك حركة الاستشراق ، مع حركة التبشير لتكونا معول هدم للإسلام ، وتنصير المسلمين .

فلما خابوا وخسروا ، وخابت آمالهم في تنصير المسلمين ، رسموا

---

(١) النعيم . عبد الله " الاستشراق في السيرة النبوية ص ١٩

(٢) محمد . إسماعيل " الاستشراق ص ٣٣

لأنفسهم خططاً ، وبنوا آمالهم على زعزعة عقيدة المسلم ، وتشكيكه بدينه ، وخلق فجوة بين المسلمين وأصولهم ، فيسهل بذلك القضاء على كيانهم الإسلامي .

وكما سبق ذكره في نشأة الاستشراق ، أن اليهود كانوا وراء حركة الاستشراق ، والتبشير فصموئيل زويمر الذي كان يرأس مؤتمرات التبشير من أقصى الغرب إلى أقصى الشرق ، والذي قاد معارك التبشير طوال ستين عاماً انتهت بهلاكه سنة ١٩٥٢م ، قد كشف عن يهوديته الدفينة الراسخة في أعماق نفسه ، وذلك بأن طلب حاخاماً يلقنه في ساعاته الأخيرة أثناء احتضاره . (١) فإذا علم هذا ، وعلم أن هؤلاء المستشرقين هم في الأساس من أبناء الكنيسة ، وتلامذتهم ، وعلم أيضاً أنه من الصعب على معظم المستشرقين ، المشتغلين بدراسة الإسلام ، وأكثرهم متدينون ، أن ينسوا ، أنهم يدرسون ديناً ينكر عقائد أساسية في أديانهم ، ويبطلها بالدليل ، مثل عقيدة التثليث ، و الصلب ، والفداء .

كما أنه من الصعب عليهم أن ينسوا أن الدين الإسلامي قد قضى على النصرانية في كثير من بلاد الشرق وحل محلها . (٢)

---

(١) المحتسب . عبد المجيد " اتجاهات التفسير في العصر الراهن " ص ١١

(٢) ماضي . محمود " الوحي القرآني في المنظور الاستشراقي " ص ٢١

ويمكن تلخيص الهدف الديني في النقاط التالية :

١-محاربة الإسلام ، وتتبع مثالبه وإبرازها ، والزعم بأنه يستلهم من النصرانية ، واليهودية ، مع تنقص قيمة الرسالة ، وقدر الرسول صلى الله عليه وسلم .

٢- حماية النصارى من الدخول في الإسلام بطمس معالمه ، وإخفاء حقائقه .

٣- حملات التنصير والجهود المبذولة في محاولة تنصير المسلمين . (١)

ثانياً / الهدف العلمي :

لم تكن أوروبا تنهض نهضتها دون أن تأخذ بأسباب ذلك وهو دراسة منجزات الحضارة الإسلامية . فقد رأى زعماء أوروبا أنه إذا كانت أوروبا تريد النهوض الحضاري ، والعلمي فعليها بالتوجه إلى بواطن العلم تدرس لغاته وآدابه وحضارته . فنكب الغربيون على دراسة الكتب الإسلامية ، فلم يتركوا مجالاً كتب فيه العلماء المسلمون حتى درسوا هذه الكتابات ، وترجموا عنها وأخذوا منها .(٢)

---

(١) مغلي . محمد البشير ' مناهج البحث في الإسلاميات لدى المستشرقين وعلماء الغرب ' ص٦٣

(٢) مطبقاني . " الاستشراق " ص ١٠

ونستطيع أن نقول : إن الدافع العلمي تمثل في ثلاث اتجاهات على النحو التالي :

١/ البحث عن نقاط القوة في الدين الإسلامي ، وفي المسلمين للإفادة منها في نهضة الشعوب الأوربية ، بناء على وصية علماء الغرب السابق ذكرها .وخاصة عندما فتح المسلمون الأندلس ، وأقاموا فيها حضارة زاهرة ، واكبها نهضة علمية خارقة ، فحرص المستشرقون على أن ينهلوا من علوم الشرق الإسلامي ، ويقتبس من حضارته لينهض مثل المسلمين ، فكان لابد من تعلم اللغة العربية ، والتتلمذ على أيدي علماء المسلمين ، والرحلة إلى حيث يقيمون .

ولم يقفوا عند ذلك بل نقلوا إلى أهليهم في الغرب ما أخذوه عن المسلمين من علوم حتى يتفوقوا عليهم ، ويتخلصوا من سيطرتهم ، وقد ظل هؤلاء المستشرقون يدرسون وينقلون تلك العلوم على يد العرب والمسلمين محتفظين لأنفسهم بعقائدهم ، واتجاهاتهم البغيضة نحو الإسلام والمسلمين . (١)

٢/ البحث للمعرفة واطلاع على حضارات الأمم وأديانها ، وثقافاتها ، ولغاتها ، وهؤلاء كانوا أقل خطأ في فهم الإسلام وتراثه ، لأنهم لم يكونوا يتعمدون الدس ، والتحريف ، فجاءت أبحاثهم أسلم من أبحاث كثير من المستشرقين . رغم وجود الخطأ فيها (٢)

---

(١) محمد . إسماعيل " الاستشراق " ص ٣٩

(٢) السباعي . مصطفى "الاستشراق والمستشرقون ص ١٩

٣/ البحث لمعرفة الدين الإسلامي والعمل على نقله مشوهاً إلى الجماهير الأوروبية ليثبتوا للعالم المسيحي أن الإسلام دين لا يستحق الانتشار ، ثم تطور الأمر إلى محاولة زعزعة المثل العليا للإسلام في نفوس المسلمين وإثبات تفوق الحضارة الغربية . (١)

ثالثاً / الهدف الاقتصادي

رغبت الدول الأوروبية في مد مصانعها بالمواد الخام ، كما رغبت في تسويق منتجاتها ، فكان لا بد من التعرف على البلاد التي تمتلك الثروات الطبيعية ، ويمكن أن تكون لبضائعه أسواقاً مفتوحة ، فكان الشرق الإسلامي ، والدول الأفريقية والأسيوية هي الهدف (٢) ، فلجأت الدوائر الحكومية ، ومؤسسات الاستثمار الأجنبي إلى خيرة المستشرقين بالبلدان المعنية من أجل :

١/ الاستطلاع على إمكانية استغلال الثروات الباطنية ، والبشرية فيها

٢/ تنفيذ مشاريعهم الاقتصادية المختلفة ، والعمل كوسطاء ، ومستشارين ، ومترجمين ، ومنقبين ، مقابل رواتب مغرية . (٣)

---

(١) مغلي " مناهج البحث ص ٦٣

(٢) مطبقاني " الاستشراق " ص ١٠

(٣) مغلي . مناهج البحث ص ٥٨

الهدف السياسي الاستعماري :

لقد استطاع الاستعمار أن يجند طائفة كبيرة من المستشرقين ، لخدمة أغراضه ، وتحقيق أهدافه في البلاد المستعمرة ، كما أن الاستعمار عمل على تعزيز موقف الاستشراق ، وهكذا نشأت رابطة وثيقة بين الاستشراق والاستعمار ، وعمل بعض المستشرقين كمستشارين لوزارات خارجية دولهم ، وكقناصل ، وتجسسوا على المسلمين ، وكان رجال السياسة يرجعون إلى المستشرقين قبل اتخاذ قراراتهم المهمة في الشؤون السياسية الخاصة بالأمم العربية والإسلامية .

ومهما يكن من أمر فقد كان التراث الاستشراقي بمثابة الدليل للاستعمار ؛ لأن المعرفة بالأجناس الشرقية هي التي تجعل حكمهم سهلاً ومجدياً إذ أن المعرفة تمنح القوة ، والمزيد من القوة يتطلب مزيداً من المعرفة . (١)

ومما يؤكد ارتباط الدراسات الاستشراقية بالأهداف السياسية الاحتلالية ، أن الحكومة الأمريكية مولت عدد من المراكز للدراسات العربية الإسلامية في العديد من الجامعات الأمريكية ، وما زالت تمول بعضها إما تمويلاً كاملاً أو تمويلاً جزئياً (٢)

---

(١) النعيم . "الاستشراق في السيرة النبوية ص ٢١

(٢) مطبقاني " الاستشراق "ص ١١

الهدف الثقافي :

من أبرز أهداف الاستشراق نشر الثقافة الغربية ، واللغات الأوروبية ، ومحاربة اللغة العربية ، وصبغ البلاد العربية والإسلامية بالطابع الثقافي الغربي .

ومن أجل تحقيق هذا الهدف فكر نابليون في استضافة خمسمائة من المشايخ ، ورؤساء القبائل في مصر ليعيشوا فترة من الزمن في فرنسا ، من أجل أن يعتادوا على اللغة ، والتقاليد الفرنسية ، فإذا ما عادوا إلى مصر نشروا ما اعتادوا عليه ، فنضم إليهم غيرهم . (١)

الأثر العقدي والاجتماعي للدراسات الاستشراقية :

أولاً / من أبرز الآثار العقدية للاستشراق : ١/ التنصير وإخراج المسلم من دينه بالكلية ، أو دعوته إلى العلمانية ، وفصل الدين عن الحياة .

٢/ الاهتمام المبالغ فيه بالصوفية وبخاصة تلك التي ابتعدت عن الكتاب ، والسنة فتجدهم يجعلون لابن عربي مكانة خاصة في النشاطات الاستشراقية ، كما اهتموا بالرافضة الإسماعيلية وغيرها من الفرق ، ولا

---

(١) مطبقاتي " الاستشراق " ص ١٣

شك أن هذا الاهتمام يجعل من يطلع على مثل هذه الدراسات وهو غريب عن الإسلام يظن أن هذا هو الإسلام .

٣/ الحرص على إنشاء المدارس ، والجامعات الغربية في العالم الإسلامي فمن ذلك : الكلية الإنجيلية التي تحولت إلى الجامعة الأمريكية ، والتي لها فروع في كل من القاهرة ، وبيروت ، واستنبول ، ودبي ، بالإضافة إلى كلية فكتوريا وهي عبارة عن مدرسة ثانوية الهدف منها تنشئة أجيال من أبناء المسلمين يكونون جسراً بين الثقافة الغربية ، ومواطنيهم المسلمين .

وقد أنتجت تلك المدارس جيل من المسلمين لا يصلون ، ولا يصومون ، ولا يؤمنون بالقرآن ، ولا يتحدثون اللغة العربية فيما بينهم .

ثانياً / الآثار الاجتماعية : أحدث الاحتلال بالتعاون مع الاستشراق تغيرات اجتماعية كبيرة في البلاد الإسلامية ، خاصة التي وقعت تحت الاحتلال الغربي .

ومن جهة أخرى أهتم الاستشراق بتشويه مكانة المرأة في الإسلام ، ونشر المزاعم عن اضطهاد الإسلام للمرأة ، كما شجع الدعوة إلى تحرير المرأة ، والتي ظهرت في كتابات قاسم أمين ، والطاهر الحداد ، ونوال السعداوي ، وهدى شعراوي ، وحنان الشيخ ، وفاطمة المرنيسي ، وغيرهن ممن تبنين الأفكار الغربية .

ويقوم الاستشراق الإعلامي بدور بارز في الترويج للفكر الغربي في كافة المجالات ومجال المرأة بشكل خاص .

وأختم هذه الآثار بعبارة لبرنارد لويس وهو مستشرق إنجليزي يهودي قال : (سنحسم التغريب في الشرق الأوسط من خلال ثلاث عوامل : إسرائيل ، وتركيا ، والمرأة) (١)

ثالثاً / الآثار الاقتصادية : محاربة النظام الاقتصادي الإسلامي وذلك عن طريق : الترويج للفكر الاقتصادي الغربي ، ومن الآثار الاقتصادية تشجيع الصناعة في البلاد الإسلامية دون الاستعداد الكافي لها ، وإهمال قطاع الزراعة .

رابعاً / الآثار الثقافية : حقق الاستشراق نجاحاً كبيراً في التأثير في الحياة الثقافية ، والفكرية في العالم الإسلامي ، فبعد أن كان القرآن ، والسنة ، من مصادر المسلمين المهمة في جميع شؤون حياتهم أصبحت المصادر الغربية تدخل في تكوين الفكر الثقافي لهذه الأمة سواء كان في نظرتها للقرآن ، أو السنة ، أو للفقه . (٢)

---

(١) مجلة البلاغ العدد ١٥٢٣ الأحد شوال ١٤٢٣هـ السنة ٣٣ (ص ٣٥) ، مطبقاتي . " الاستشراق " ص ١٤

(٢) المرجع السابق ص ١٦

وسائل المستشرقين

أولاً / تأليف الكتب :

وهي وسيلة قديمة لم تستطع المخترعات الحديثة ، في مجال الاتصال ، والإعلام أن تقلل من خطورتها ، ودورها الفعال في ترويج ، ونشر الثقافات ، والدعوات، من هاهنا أهتم المستشرقون بهذه الوسيلة الفعالة ، فعكفوا على تأليف الكتب ، وإصدار الموسوعات ، وإخراج المعاجم حتى صار لهم إنتاجاً ضخماً من الكتب ، والموسوعات التي تحمل أفكارهم ، وخلاصة آرائهم ، بشتى اللغات الأجنبية ، وبعض هذه الكتب ترجم إلى اللغة العربية .

وهذه الكتب قد احتوت على تزوير للحقائق وافتراء على الإسلام بأساليب واضحة ، وأخرى ملتوية . (١)

ولعل أخطر ما قام به المستشرقون إصدار دائرة المعارف الإسلامية بعدة لغات ، ومصدر الخطورة في كونها مرجع لكثير من المسلمين على ما فيها من تحريق وخلط للحقائق ، وفكرة إصدار دائرة المعارف جاءت من أن المستشرقين رأوا أن يجمعوا خلاصة أبحاثهم في كتاب جامع يتبعون فيه

---

(١) محمد . إسماعيل " الاستشراق ص ٧٩

منهج القواميس والمعاجم، فكتبوا دائرة المعارف الإسلامية، باللغات الأوربية الكبرى: الإنجليزية، والفرنسية، والألمانية.

وكان هدفهم من إصدارها أن تكون مرجعاً يعتمد عليه المسلمين، فتؤثر في تكوين الرأي العام الإسلامي عامة وخاصة، وتكون أباطيل المستشرقين، وانحرافاتهم تحت أعين الناس مألوفة مقررة، ولن يدفع من شرها ما يوضح في ذيول الصفحات بالترجمة العربية، من تعليق، أو تصحيح. ذلك أن الشبهات إذا أثيرة لا يقر غبارها تماماً، ولكن يظل شيء منه عالقاً بأجواء الفكر يؤذي مشاعر الناس وعقولهم. (١)

ثانياً/ دور النشر الاستشراقية: فهي من وسائل إذاعة الفكر الاستشراقي في العالم الغربي، وأحياناً خارجه، والترويج لأبحاث، وكتب المستشرقين عن الإسلام والمسلمين.

ثالثاً/ المجلات: للمستشرقين عدد كبير من المجلات السيارة في كثير من بلدان أوروبا، وقد زادت المجلات، والدوريات الشرقية لدى المستشرقين على ثلاثمائة مجلة متنوعة خاصة بالاستشراق تنشر بمختلف اللغات، وبعضها بثلاث، وتتناول مباحثها الشرق في لغاته، وأديانه، وعلومه، وآدابه، قديمها وحديثها.

---

(١) المرصفي. سعد "الجامع المفهرس لألفاظ صحيح مسلم ص١٩

رابعا / كرسي التدريس في الجامعة : استخدمه المستشرقون لنشر أفكارهم ، وتحقيق أغراضهم ، وخاصة من خلال إنشاء قسم للدراسات الإسلامية والعربية بالجامعات الغربية .

خامسا /المؤتمرات : أتخذ منها المستشرقون وسيلة لطرح أفكارهم ، ونشر آرائهم ، وزيادة فرص التنسيق بينهم ، ويشترك في هذه المؤتمرات جمع غفير من المستشرقين من بلدان وجامعات شتى ، ناقشة مئات القضايا والبحوث المتعلقة بالشرق في كافة جوانبه وخاصة ما يتصل بالدراسات الإسلامية .

سادسا / الاشتراك في المجامع العلمية الرسمية في العالم الإسلامي : كمصر ، ودمشق ، وبغداد ، ويعتبرون التمثيل في هذه المجامع وسيلة لتحقيق أهدافهم ، حيث يعملون جاهدين على تحويل هذه الأهداف إلى مناهج براقة تتدثر بعباءة البحث العلمي ، سواء في الدعوة إلى إحياء العاميات ، أو الدعوة إلى تعديل النحو العربي ، أو ما يسمى اللغة الوسطى ، أو الكتابة العربية المعاصرة وكلها مجالات ترمي إلى إيجاد فجوة بين لغة القرآن ، ولغة الكتابة .

سابعا / استخدام التلاميذ : للمستشرقين ، والمبشرين ، تلاميذ من العرب والمسلمين ليقوموا بالترويج لأراء المستشرقين ، والمبشرين ، نيابة عنهم من غير نسبتها إليهم ، بل على أنها من إنتاج قرائح أولئك التلاميذ ، العملاء ، وثمرة اجتهادهم ، وتفكيرهم بينما هي في واقع الأمر صدى لأراء

وسموم خصوم الإسلام .

ثامناً / إرساليات التبشير في العالم الإسلامي : تقوم إرساليات التبشير في العالم الإسلامي بدور كبير في ترويج ، ونشر الفكر المعادي للإسلام الذي أنتجه الاستشراق ، وسود به المستشرقون آلاف الكتب ، والمجلدات .

والإرساليات : تعني جماعة من المنصرين يقومون بنشر المسيحية في إقليم معين وتضم الإرساليات عادة عدة مراكز يختص كل منها بالعمل في المدينة المعينة ، يطلق عليها مراكز التبشير ، كما توجد مراكز فرعية على مستوى القرى . (١)

---

(١) السباعي . الاستشراق والمستشرقون ص ٢٦ وما بعدها ، محمد . إسماعيل " الاستشراق " ص ٦٧ وما بعدها ، السايح . أحمد " الاستشراق في ميزان نفد الفكر الإسلامي " ص ٥٥ وما بعدها